

الثَّوْرَةُ عَلَى الثَّوْرَةِ
وُجُوبُ الْحَذَرِ
مِنْ مُظَاهَرَاتِ الْحَادِي عَشَرَ

لأَبِي سُفْيَانَ عَمْرِو بْنِ سَادَاتٍ

(حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى)

تَقْدِيمُ:

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ: حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَنَّا (حَفِظَهُ اللهُ)

وَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْمُفَسِّرِ: عَادِل السَّيِّد (حَفِظَهُ اللهُ)

تَحْتَ إِشْرَافِ:

الْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ

مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ:

حَسَــنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَنَّــا

(حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى)

بِسْمِ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ قَرَأَ عَلَى سَمْعِي الْأَخُ طَالِبُ الْعِلْمِ أَبُو سُفْيَانَ عَمْرُو السَّادَات -سَلَّمَهُ اللهُ- مَقَالًا بِعُنْوَانِ «الثَّوْرَةُ عَلَى الثَّوْرَةِ»؛ وَلَا يَعْنِي بِذَلِكَ تَأْيِيدَ الثَّوْرَةِ؛ بَلِ الدَّعْوَةَ إِلَى تَحَاشِي الثَّوْرَةِ، وَأَيَّدَ كَلَامَهُ بِأَدِلَّةٍ شَرْعِيَّةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفِقْهِ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ وَأَوَّلُهُمُ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ثُمَّ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ-؛ كَمَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَمْثِلَةً مِنْ وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَوَائِلِ، ثُمَّ الْحَاضِرُونَ فِي وَقْتِنَا!.

وَقَدْ رَأَيْتُهُ مَقَالًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُذَاعَ وَيُنْشَرَ؛ لِيَعْرِفَ الْمُسْلِمُونَ الضَّوَابِطَ الشَّرْعِيَّةَ لِأَيِّ عَمَلٍ يَقْتَرِحُهُ الْبَعْضُ؛ حَتَّى يَسُودَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ!.

وَجَزَى اللهُ الْكَاتِبَ لِلْمَقَالِ خَيْرًا، وَنَفَعَ اللهُ بِمَقَالِهِ وَبِعِلْمِهِ!.

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُسْتَعَانُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

وَكَتَبَهُ:

حَسَن عَبْد الْوَهَّابِ الْبَنَّا

عُضْوُ جَمَاعَةِ أَنْصَارِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِعَابِدِينَ

وَالْمُدَرِّسُ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

وَعُضْوُ التَّوْعِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سَابِقًا

عَابِدِينَ

فِي ٢٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٨ هـ

٣٠ / ١٠ / ٢٠١٦م

مُقَدِّمَةُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْمُفَسِّرِ:

عَـادِلِ السَّـيِّد (حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ وَبَعْدُ:

فَقَدْ قَرَأَ عَلَيَّ أَخِي الْفَاضِلُ: عَمْرُو السَّادَاتِ رِسَالَتَهُ «الثَّوْرَةُ عَلَى الثَّوْرَةِ»؛ فَأَلْفَيْتُهَا رِسَالَةً طَيِّبَةً جَمعَتْ -عَلَى وَجَازَتِهَا- أُصُولًا عَظِيمَةً لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ؛ فَأُوصِي أَخِي الْفَاضِلَ بِالثَّبَاتِ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ، وَمُوَاصَلَةِ الْكِتَابَةِ، وَالْخَطَابَةِ، فِي الْعَمَلِ عَلَى تَثْبِيتِهِ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ وَنَاشِئَةِ الشَّبَابِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ وَإِيَّانَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالتَّوَاصِي بِهِ، وَأَنْ يَهْدِيَ عُصَاتَنَا، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَنْ يُوَحِّدَ صُفُوفَنَا، وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَنَا مِنْ كُلِّ ذِي شَرٍّ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَكَتَبَهُ: عَادِل السَّيِّد

الثَّوْرَةُ عَلَى الثَّوْرَةِ

وُجُوبُ الْحَذَرِ مِنْ مُظَاهَرَاتِ الْحَادِي عَشَر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ كَثْرَةَ الثَّوْرَاتِ وَالْمُظَاهَرَاتِ فِي الْحِقْبَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ حَيَاةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُؤَشِّرٌ خَطِيرٌ يُبَيِّنُ شَدِيدَ ضَعْفِهَا، وَتَأَثُّرِهَا فِكْرِيًّا بِأَعْدَائِهَا = (الْغَزْوُ الْفِكْرِيُّ).

وَهَذِهِ الْمُظَاهَرَاتُ -فِي الْحَقِيقَةِ وَكَمَا لَا يَخْفَى- الْغَرَضُ مِنْهَا فِي الْجُمْلَةِ أَمْرَانِ:

١- الْقَضَاءُ عَلَى الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَفْتِيتُهَا، وَبِالْأَخَصِّ مِصْرَ -حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى-.

٢- وَالِاسْتِنْزَافُ لِقُوَاهَا، وَإِجْهَادُهَا بِالْفِتَنِ وَالْقَلَاقِلِ؛ فَيَكُونُ وُجُودُهَا كَعَدَمِهِ!

وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ؛ إِلَّا مَنْ أَصَابَهُمُ الْعَمَهُ! ﴿فَهُمْ فِي غَيِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾!.

وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْمُتَظَاهِرُونَ، أَوِ النُّشَطَاءُ السِّيَاسِيُّونَ، أَوْ كَمَا هُمْ فِي مُسَمَّى الشَّرْعِ (الْخَوَارِجُ) أَوِ (الْبُغَاةُ)، لِمَاذَا يَخْتَارُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ خَاصَّةً؟! أَيَّامٌ يَخْتَارُونَهَا بِمَكْرٍ، وَكَيْدٍ، أَوْ تُخْتَارُ لَهُمْ! ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَرَاءَهُ مَا وَرَاءَهُ، فَوَرَاءَ الْأَكَمَةِ مَا وَرَاءَهَا، يَخْتَارُونَ أَيَّامًا مُعَيَّنَةً، هِيَ أَيَّامٌ عِنْدَ الْأُمَّةِ لَهَا رَمْزٌ مُعَيَّنٌ، فَيُرِيدُونَ إِفْسَادَهُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ!

إِنَّهُ حِقْدٌ صَلِيبِيٌّ صُهْيُونِيٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُقَدَّرَاتِهَا!

نَعَمْ .. نَعَمْ؛ أَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَوَامِّ مُغَرَّرٌ بِهِمْ، وَلَكِنْ إِلَى مَتَى؟! إِلَى أَنْ نَرَاهَا خَرَابًا يَبَابًا؛ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا؛ وَالْحَالُ حِينَئِذٍ؛ كَمَا قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ خَفَاجَةَ يَرْثِي الْأَنْدَلُسَ:

عَاثَتْ بِسَاحَتِكِ الْعِـــــدَا يَا دَارُ   وَمَحَا مَحَاسِنَكِ الْبِلَى وَالنَّـارُ

وَإِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنَابِـكَ نَاظِـــرٌ   طَالَ اعْتِبَارٌ فِيكَ وَاسْتِعْبَـــارُ

أَرْضٌ تَقَاذَفَتِ الْخُطُوبُ بِأَهْلِهَا   وَتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الْأَقْــدَارُ

كَتَبَتْ يَدُ الْحَدَثَانِ فِي عَرَصَاتِهَا   لَا أَنْتِ أَنْتِ وَلَا الدِّيَـــارُ دِيَارُ

وَمَا الْعِرَاقُ وَلَا سُورِيَّا وَلَا غَيْرُهُمَا عَنْكُمْ بِبَعِيدٍ!!

وَإِلَّا؛ فَحِينَئِذٍ وَلَاتَ حِينَ مَنْدَمٍ!

ثُمَّ هَبْ أَنَّنَا عَذَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمُغَرَّرَ بِهِمْ؛ فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْذُرَ كُبَرَاءَهُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ، وَكَلَامُهُمْ مُسَجَّلٌ عَلَيْهِمْ!.

سَتَقُولُ لِي أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُتَّبِعُ :

دَعْنَا مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَهَاتِ لِي أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ مِنْ وَحْيٍ= كِتَابًا وَسُنَّةً، أَوْ نَقْلًا لِإِجْمَاعٍ ،أَوْ آثَارٍ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، أَوْ نَظَرًا صَحِيحًا، أَوْ عَقْلًا صَرِيحًا، أَوْ هَاتِ لِي مِنَ التَّارِيخِ عِظَةً وَعِبْرَةً.

وَأَقُولُ لَكَ:

وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ إِنِّي لَأُحِبُّ لَكَ الْخَيْرَ، وَالنَّجَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلَا سَبِيلَ لِي وَلَا لَكَ إِلَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ أَوِ الْعَقْلِ الصَّرِيحِ، وَإِنَّ الدَّلَائِلَ مِنْهُمَا لَمُتَكَاثِرَةٌ وَمُتَظَاهِرَةٌ عَلَى حُرْمَةِ الْخُرُوجِ وَالثَّوْرَةِ وَالْمُظَاهَرَةِ.

وَلَكِنْ أَقُولُ لَكَ أَوَّلًا: إِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ = الْفَتْرَةِ الْعَصِيبَةِ الْمَرِيرَةِ مِنْ حَيَاةِ الْأُمَّةِ وَقَدْ تَكَالَبَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ، يُعَاوِنُهَا -يُعَاوِنُ الْأَعْدَاءَ- أَبْنَاؤُهَا، مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ أَوْ لَا يَشْعُرُونَ، فَيُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ؛ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

وَإِني سائلك لِمَاذَا مِصْرُ؟ ولِمَاذَا التَّرْكِيزُ عَلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ دُونِ الدُّوَلِ؟!

لِمَا لَهَا مِنَ السِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ، وَرَحِمَ اللهُ أَحْمَد مُحَرَّم عِنْدَمَا قَالَ:

احْفَظُوهَا... -يَعْنِي مِصْرَ-.

احْفَظُوهَا إِنَّ مِصْرَ إِنْ تَضِعْ==ضَاعَتِ الدُّنْيَا تُرَاثُ الْمُسْلِمِينَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ فِيمَا بَلَغَنَا أَنَّ الْمَلِكَ عَبْدَ الْعَزِيزِ -رَحِمَهُ اللهُ- كَانَ يُعَلِّمُ أَبْنَاءَهُ النَّظَرَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَّهَا الْمِيزَانُ فِي الْمَنْطِقَةِ لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنَّ الْحِفَاظَ عَلَيْهَا حِفَاظٌ عَلَى أَمْنِ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

فِي هَذِهِ النَّظْرَةِ الثَّاقِبَةِ يُقَابِلُهَا نَظْرَةٌ أُخْرَى لِأَعْدَاءِ الْمِلَّةِ لِأَعْدَاءِ الدِّينِ هُوَ التَّرْكِيزُ عَلَى سُقُوطِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ؛ وَلِذَلِكَ فِي الْبُرُوتُوكُولِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ بُرُوتُوكُولَاتِ حُكَمَاءِ صُهْيُونَ يَقُولُ: «وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ، حَتَّى تَصِيرَ مِصْرُ خَمْسَ مُدُنٍ حَقِيرَةٍ تَنُوحُ كَمَا تَنُوحُ الْمَرْأَةُ ... » إِلَى آخِرِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يُنَفِّذُونَهُ.

وَلِذَلِكَ فِي الْعَهْدِ الْمَاضِي الَّذِي نَجَّى اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِصْرَ مِنْهُ كَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تُقَسَّمَ وَحَفِظَهَا اللهُ، كَمَا قُسِّمَتْ دُوَلٌ إِسْلَامِيَّةٌ أُخْرَى، وَكَانَتْ سَتُقَسَّمُ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ أَوْ خَمْسِ دُوَلٍ (دُوَيْلَاتٍ صَغِيرَةٍ)؛ فَلِذَلِكَ يُرَكِّزُونَ عَلَى هَذِهِ الْبَلْدَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَرُدُّ كَيْدَهُمْ دَائِمًا فِي نُحُورِهِمْ.

أَرَى خَلَلَ الرَّمَـــادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ

فَإِنَّ النَّـــارَ بِالْعُودَيْـــنِ تُذْكَـى وَإِنَّ الْحَـــرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ

فَإِنْ لَمْ تُطْفِئُوهَـــا تُجْنِ حَرْبـًا مُشَمَّرَةً يَشِيبُ لَهَا الْغُـــلَامُ

أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَـاظٌ (أَفِيقُـــوا) أَمْ نِيَامُ؟

فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَضْحَوْا نِيَامًـــا فَقُلْ قُومُـــوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ

فَفِرِّي مِـــــنْ رِحَالِكِ ثُمَّ قُولِـي عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ

وَهُنَا أَمْرٌ أَيْضًا قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُظَاهَرَاتِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ أَنَّ النَّاسَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ يُرَكِّزُونَ عَلَى مِصْرَ خَاصَّةً حَفِظَهَا اللهُ، أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُثِيرُونَ هَذِهِ الْفِتَنَ وَهَذِهِ الْقَلَاقِلَ، هَؤُلَاءِ -شَاءُوا أَمْ أَبَوْا- عُمَلَاءُ لِلصُّهْيُونِيَّةِ وَلِلصَّلِيبِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ.

وَتُعْجِبُنِي كَلِمَةٌ لِرَجُلٍ غير مسلم صَاحِبُ كِتَابِ «تَغْرِيبُ الْعَالَمِ» يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ الْأَبْيَضَ سَيَعُودُ إِلَى الْكَوَالِيسِ لِيُحَرِّكَ الْعَرَائِسَ عَلَى الْمَسْرَحِ.

الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْغَرْبِيُّ الْأُورُوبِّيُّ يَعُودُ إِلَى الْكَوَالِيسِ، لَيْسَ بِحَاجَةٍ الْآنَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بِجُيُوشٍ جَرَّارَةٍ، وَلَا أَنْ يُعِدَّ الْعَتَادَ، لَا لَا، وَإِنَّمَا يُحَرِّكُ عَرَائِسَ؛ يَقُولُ: النَّاشِطُ الفُلَانِيُّ. مَنِ النَّاشِطُ الْفُلَانِيُّ؟! النَّاشِطَةُ الْفُلَانِيَّةُ، مَنْ هَذِهِ؟ فاسق فاجر ،أو رَاقِصَةٌ مَاجِنَةٌ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

رُوَيْبِضَةٌ = تَافِهٌ، أَوْ تَافِهَةٌ تَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ!.

مَنْ هذا أو هَذِهِ حَتَّى يقود أو تَقُودَ أُمَّةً مُسْلِمَةً تُحَرِّكُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟! وَالْعَجِيبُ أَنَّ النَّاسَ تَسْمَعُ كَلَامَهُمْ.

فَتُحَرَّكُ هَذِهِ الْعَرَائِسُ الدُّمَى عَلَى الْمَسْرَحِ وَتُثِيرُ الْفِتَنَ وَالْقَلَاقِلَ، لِمَاذَا؟ مَا الَّذِي يُرِيدُونَهُ؟ يُرِيدُونَ الْمُجُونَ، وَيُرِيدُونَ الِانْفِتَاحَ عَلَى الدُّنْيَا بِكُلِّ سَبِيلٍ؛ بِمَعْصِيَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. هَذَا الَّذِي يُرِيدُونَهُ!

وَلِذَلِكَ نقولُ :

هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ نُفُوسٍ جُرْثُومِيَّةٍ؛ يَعْنِي: ابْنُ الْقَيِّمِ قَدِيمًا تَكَلَّمَ عَنِ النَّفْسِ السَّبُعِيَّةِ، وَالنَّفْسِ الضَّبُعِيَّةِ، وَالنَّفْسِ الْكَلْبِيَّةِ، طَبْعًا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ جَرَاثِيمُ، وَالْآنَ هُنَاكَ نُفُوسٌ جُرْثُومِيَّةٌ لَا تَحْيَا إِلَّا فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَفِي الْأَمَاكِنِ الْمَوْبُوءَةِ، جَرَاثِيمُ تَحْيَا فِي الْأَمَاكِنِ الْمَوْبُوءَةِ، فَإِذَا تَنَظَّفَ الْمَكَانُ وَصَارَ هُنَاكَ أَمْنٌ وَصَارَ هُنَاكَ نِظَامٌ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتَنِ، حَتَّى يَعُودَ مُسْتَنْقَعًا فَيَسْتَطِيعَ أَنْ يَحْيَا فِيهِ.

كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ ... وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

أَوْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.

لَحْنُ الْكَلَامِ يُرِيدُ فِتْنَةً؛ يَعْنِي: إِحْدَاهُنَّ -قَطَعَ اللهُ لِسَانَهَا وَشَلَّ أَرْكَانَهَا- تَقُولُ: لَا بُدَّ مِنْ تَفْكِيكِ هَذَا الْجَيْشِ. هَكَذَا بِالنَّصِّ. وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ اسْمَهَا، لَا لِشَيْءٍ، وَلَكِنْ تَنزهًا عن ذكرِ أمثالِها!، تَقُولُ: لَا بُدَّ مِنْ تَفْكِيكِ هَذَا الْجَيْشِ هَذَا الْعَقَبَةِ!

طَيِّبٌ، هَذَا عَقَبَةٌ أَمَامَ مَنْ؟ هَذَا الْجَيْشُ عَقَبَةٌ أَمَامَ مَنْ؟!

هَذَا سُؤَالٌ، كُلُّ عَاقِلٍ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: عَقَبَةٌ أَمَامَ مَنْ؟

عَقَبَةٌ أَمَامَ الصُّهْيُونِيَّةِ وَالصَّلِيبِيَّةِ، عَقَبَةٌ أَمَامَ الْكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ فِي الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ، هَذِهِ هِيَ الْعَقَبَةُ.

وَلِذَلِكَ هَؤُلَاءِ عَرَائِسُ دُمًى تُحَرِّكُهَا الصُّهْيُونِيَّةُ، هَذِهِ الْأَسْمَاءُ اللَّوَامِعُ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

الْحَدِيثُ عَنِ الْمُظَاهَرَاتِ:

الْمُظَاهَرَاتُ: جَمْعُ مُظَاهَرَةٍ، أَوِ (التَّظَاهُرَاتُ) جَمْعُ تَظَاهُرَةٍ.

وَالتَّظَاهُرُ: التَّعَاوُنُ، يُقَالُ: فُلَانٌ ظَهِيرٌ لِفُلَانٍ؛ أَيْ: مُعِينٌ لَهُ. مِنَ الظَّهْرِ.

وَالْمُظَاهَرَاتُ مُحَرَّمَةٌ مِنْ وُجُوهٍ :

أَوَّلًا : وَلَا يُعْرَفُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ يُسَمَّى بِالْمُظَاهَرَاتِ، وَلَا بِالثَّوَرَاتِ ،وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّهَا الْيَهُودِيُّ ابْنُ السَّوْدَاءِ؛ فَهِيَ مَكْرٌ يَهُودِيٌّ أَوَّلًا وَآخِرًا!! ؛قُتِلَ بِسَبَبِهَا خَلِيفَتَانِ رَاشِدَانِ = عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ،وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، وَلِذَلِكَ نَقُولُ: هَذَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَقَدْ نَهَى اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَقَالَ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، هُنَاكَ بِرٌّ وَتَقْوَى نَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ وَإِذَنْ فَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ مُحَرَّمٌ.

ثَانِيًا: أَنَّهَا بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»؛ يَعْنِي: مَرْدُودٌ بَاطِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا لَمْ أُحْدِثْ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَنْ يُحْدِثُ.

يَعْنِي: بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ لَكَ: أَنَا لَمْ أُحْدِثْ، وَإِنَّمَا مَثَلًا: أَمِيرُ الْجَمَاعَةِ أَحْدَثَ، رَأْسُ التَّنْظِيمِ أَحْدَثَ، فَجَاءَ اللَّفْظُ الْآخَرُ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». فَشَمِلَ مَنْ أَحْدَثَ، وَمَنِ اتَّبَعَ مَنْ أَحْدَثَ؛ وَعَلَيْهِ: فَالْمُظَاهَرَةُ بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ، فَهِيَ مَرْدُودَةٌ بَاطِلَةٌ.

ثَالِثًا: لِمَا وَرَدَ مِنَ النُّصُوصِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالْآثَارِ الْمُتَكَاثِرَةِ فِي النَّهْيِ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا.

وَلِذَلِكَ تَقُولُ لِأَخٍ مُنْصِفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: عُدْ إِلَى كِتَابِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، فِي آخِرِهِ كِتَابُ الْفِتَنِ، ارْجِعْ إِلَيْهِ.

أَوْ: إِلَى كِتَابِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ. عُدْ إِلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

فَضْلًا عَنْ جَمِيعِ كُتُبِ الْمُعْتَقَدِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ كَأُصُولِ السُّنَّةِ لِأَحْمَدَ، وَأُصُولِ السُّنَّةِ لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ، وَشَرْحِ السُّنَّةِ لِلْبَرْبَهَارِيِّ، وَشَرْحِ السُّنَّةِ لِلْخَلَّالِ، وَكَذَلِكَ الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ وَشَرْحُهَا، الطَّحَاوِيَّةُ لِلطَّحَاوِيِّ الْمِصْرِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ– ، وَشَرْحُهَا لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ الْقَاضِي الْمِصْرِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ–.

وَعُدْ إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَارْجِعْ إِلَى كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُحْدَثِينَ؛ كَالْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ– ، وَالْإِمَامِ ابْنِ بَازٍ –رَحِمَهُ اللهُ– ، وَالْإِمَامِ ابْنِ عُثَيْمِينَ –رَحِمَهُ اللهُ– ، وَأَحْيَاؤُهُمْ حَفِظَهُمُ اللهُ؛ كَالْعَلَّامَةِ الرَّبِيعِ، وَالْعَلَّامَةِ الْفَوْزَانِ، إِلَى آخِرِ هَؤُلَاءِ، كُتُبُهُمْ مَبْثُوثَةٌ مَنْثُورَةٌ بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّهَا (قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ) بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ارْجِعْ إِلَيْهَا، تَجِدْ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى الْوُلَاةِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَمْ يُخَالِفْ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْإِحْدَاثِ، وَهَذَا سَيَأْتِي طَرَفٌ مِنْهُ بِإِذْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

رَابِعًا: حَرَامٌ لِأَنَّهَا تَشَبُّهٌ بِالْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.

مِنْ أَيْنَ أَتَتِ الْمُظَاهَرَاتُ؟ مَنْ أَتَى بِهَا هَلْ أَتَى بِهَا لِنَصٍّ مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، لا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَنْ مَارِكِس وَمَانِدِيلَّا ... وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ، وَلَيْسَ عَنْ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَلَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عَنْ عُمَرَ، وَلَا عَنْ عُثْمَانَ، وَلَا عَنْ عَلِيٍّ، وَلَا عَنِ الْعَشْرَةِ، وَلَا الْبَدْرِيِّينَ، وَلَا أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَلَا الصَّحَابَةِ، وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا الْأَئِمَّةِ الْمَتْبُوعِينَ، وَلَا الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، ... فَكَيْفَ يُتَّبَعُ شُذَّاذُ الْآفَاقِ مِنْ كُلِّ نَاهِقٍ:

أَسْمَاءُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا==كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ

يَقُولُ لَكَ: النَّاشِطُ الْفُلَانِيُّ. هَلْ سَمِعْتَ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ؟ هَلْ تَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ؟ أَنْتَ رُبَّمَا لَمْ تَعْرِفِ اسْمَهُ أَصْلًا، ظَهَرَ لَكَ فَجْأَةً، ثُمَّ صَنَعَ صَفْحَةً عَلَى الْفِيسبُوك، يَدْعُو إِلَى تَظَاهُرَةٍ، فَتَجِدُ النَّاسَ يُعْجَبُونَ وَيَصُولُونَ وَيَجُولُونَ، ثُمَّ تَقَعُ الْوَاقِعَةُ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَكَيْفَ يُسَاقُ الْمَرْءُ كَالْبَهِيمَةِ -أَعَزَّكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-؟!

وَاللهِ ثُمَّ وَاللهِ ثُمَّ وَاللهِ رُبَّمَا تُلِحُّ عَلَى النَّاسِ: يَا أَخِي السُّنَّةُ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، السِّوَاكُ، بِاللهِ عَلَيْكَ خُذِ السِّوَاكَ، تَسَوَّكْ يَا أَخِي بِاللهِ عَلَيْكَ، أُقَبِّلُ يَدَكَ ؟ وَلَا يَرْضَى، مَعَ أَنَّكَ تَقُولُ: قَالَ اللهُ وَقَالَ الرَّسُولُ.

طَيِّب: جَرِّبْ أَنْ تَقُولَ لَهُ: نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَى (التَّحْرِيرِ).

لَنْ يَقُولَ لَكَ: سَأَرْكَبُ مَعَكَ السَّيَّارَةَ. وَلَكِنَّهُ سَوْفَ يُوَفِّرُ لَكَ السَّيَّارَةَ عِنْدَ مَجِيئِهِ!

لِمَاذَا -إِذَنْ- الْمُسَارَعَةُ فِي الْفِتَنِ وَالْبِدَعِ؟ وَالتَّكَاسُلُ فِي السُّنَنِ؟! هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ! هَذِهِ وَاللهِ تَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ، لِمَاذَا عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ...؟!

جَرِّبْ مَثَلًا أَنْ تَدْعُوَ فِي بَلَدِكَ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَوَاظِبْ عَلَى تَحْذِيرِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَالشِّرْكِ بِهِ، وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ، وَالنَّذْرِ لِغَيْرِ اللهِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللهِ،... إِلَى آخِرِهِ، سَتَجِدُهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى (الْبَدَوِيِّ) وَالسَّيِّدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

طَيِّب، إِذَا دَعَوْتَهُمْ إِلَى بِدْعَةٍ مُحْدَثَةٍ، إِلَى جَمَاعَةٍ أَوْ حِزْبٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ وَالْأُمُورِ الْبَاطِلَاتِ، سَتَجِدُ -مَا شَاءَ اللهُ!- أَعْدَادًا غَفِيرَةً.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ!

لِمَاذَا؟ لِمَاذَا الْمُسَارَعَةُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ؟

الْإِنْسَانُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ عَقْلٌ.

خَامِسًا: تُمْنَعُ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعِظَامِ.

وَلِذَلِكَ نَقُولُ: إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا يَتَعَلَّمُ وَلَا يَتَّعِظُ مِنْ غَيْرِهِ هُوَ الْحَيَوَانُ، يَعْنِي -أَعَزَّكُمُ اللهُ- لَوْ أَنَّ حِمَارَتَيْنِ تَسِيرَانِ، فَوَقَعَتْ أُولَاهُمَا فِي بِرْكَةٍ، فَإِنَّ الْحِمَارَةَ الثَّانِيَةَ لَنْ تَتَّعِظَ بِهَا، لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ حَتَّى تَتَعَلَّمَ، وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّةَ دَابَّةٍ مِنَ الدَّوَابِ. إِلَّا الْإِنْسَانَ فَإِنَّهُ يَتَّعِظُ بِغَيْرِهِ، يَعْنِي: مَثَلًا لَوْ أَنَّكَ رَأَيْتَ إِنْسَانًا لُسِعَ مِنْ حَدِيدَةٍ سَاخِنَةٍ، فَإِنَّكَ لَنْ تَمَسَّهَا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّكَ رَأَيْتَ غَيْرَكَ لُسِعَ مِنْهَا.

أَمَّا الْحَيَوَانُ مِثْلَ فِئْرَانِ التَّجَارِبِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَّعِظَ مِنْ غَيْرِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ لِيَحْصُلَ مَعَهُ هَذَا الْأَمْرُ.

طَيِّب: النَّاسُ الْآنَ جَرَّبُوا؛ فِي التِّسْعِينَاتِ فِي الْجَزَائِرِ، وَجَرَّبُوا فِيمَا يُسَمَّى بِالْخَرِيفِ الْعَرَبِيِّ، أَوِ الرَّبِيعِ الْعِبْرِيِّ، فِي تُونُسَ، وَلِيبِيَا، وَالْعِرَاقِ، وَسُورِيَّا، وَالْيَمَنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، هَذَا كُلُّهُ وَلَمْ يَتَّعِظُوا؟!!

هَذَا كُلُّهُ وَلَمْ يَتَّعِظُوا بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ، وَاسْتِبَاحَةِ الْحُرُمَاتِ، وَانْتِهَاكِ الْمُمْتَلَكَاتِ، هَذَا كُلُّهُ؟! كُلُّ هَذِهِ الدُّوَلُ أُهِينَتْ، كُلُّ هَذِهِ دُوَلٌ أُزِيلَتْ!!

أَعْجَبَنِي حَدِيثٌ مَعَ بَعْضِ الْمُحَلِّلِينَ السِّيَاسِيِّينَ الْإِنْجِلِيزِيِّينَ، وَقَامَ رَجُلٌ نَاشِطٌ سِيَاسِيٌّ لِيبِيٌّ، يَقُولُ لَهُ: نَحْنُ نَشْكُرُ بِرِيطَانيَا عَلَى مَا قَدَّمَتْ مِنْ يَدٍ لِلِّيبِيِّينَ فِي إِزَالَةِ الطَّاغِيَةِ الْقَذَّافِيِّ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي، حَسِبْتُكَ مُمَثِّلًا كُومِيدِيًّا، أَيْنَ لِيبيَا؟!

أَيْنَ لِيبيَا الَّتِي تَقُولُ أَنَّ أَصْدِقَاءَكَ فِي بِرِيطَانيَا سَاعَدُوكَ عَلَيْهَا؟!

لَقَدْ مُحِيَتْ، فَلَا وُجُودَ لَهَا!

لَا وُجُودَ لَهَا!

أَيْنَ لِيبيَا؟!

أَيْنَ سُورِيَّا؟!

أَيْنَ الْعِرَاقُ؟!

أَيْنَ هَذِهِ الْبُلْدَانُ؟!

لَقَدْ قُضِيَ عَلَيْهَا، لِمَصْلَحَةِ مَنْ؟!

أَعْدَاءِ الدِّينِ، الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ لَا يَتَّعِظُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ مُظَاهَرَةٌ وَثَوْرَةٌ؟!

فَهَذِهِ الْمَفَاسِدُ رَأْيُ الْعَيْنِ، وَلِذَلِكَ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ الْيَوْمَ، الْيَوْمَ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَهَذِهِ الْفِتَنِ، لَا سِيَّمَا الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِاسْمِ الدِّينِ.

أَمَّا السَّادِسُ: فَلِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَا يَتِمُّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مُخَطَّطَاتِ الصَّلِيبِيِّينَ وَالصُّهْيُونِيِّينَ.

فَلِذَلِكَ -لِهَذِهِ الْأُمُورِ السَّابِقَةِ- تُمْنَعُ هَذِهِ الْأُمُورُ، وَكُلُّ عَاقِلٍ رَشِيدٍ يَفْهَمُ هَذِهِ الْأُمُورَ وَتُبَيَّنُ لَهُ، وَلِذَلِكَ نَحْنُ نُخَاطِبُ الْعُقَلَاءَ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى مَصَالِحِ أَوْطَانِهِمْ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَهْلِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ أَوْلَادِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْمَوْجُودِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا حَتَّى لَا يَصِيرَ مَفْقُودًا بَعْدُ وَلَاتَ حِينَ مَنْدَمٍ، فَإِنَّهُ لَا يُجْدِي الْبُكَاءُ عَلَى سَكْبِ اللَّبَنِ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، وَحَفِظَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكُمْ بَلَدَكُمْ، فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِيهَا.

مِنَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْبَابِ: مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا».

أَثَرَةٌ: اسْتِئْثَارٌ بِالْمُمْتَلَكَاتِ وَالْأَمْوَالِ.

النَّاسُ يَقُولُونَ: ظُلْمٌ، وَأَخَذُوا حُظُوظَ الدُّنْيَا دُونَنَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ» اسْتِئْثَارٌ بِالدُّنْيَا، «وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» فِي الدِّينِ، فَهَذَا بَيَانٌ وَاضِحٌ بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ ظُلْمٌ دُنْيَوِيٌّ، وَجَوْرٌ دِينِيٌّ.

قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ».

إِنْ كُنْتَ عَقَدْتَ قَلْبَكَ عَلَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ، (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) لَا مَتْبُوعَ حَقٌّ إِلَّا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقُلْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَّا ذَلِكَ.

قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ».

وَلِذَلِكَ لَمَّا جَاءُوا إِلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: فِرْعَوْنُ قَتَلَ الْأَبْنَاءَ، وَاسْتَحْيَى النِّسَاءَ، وَقَالَ: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي، وَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى. وَأَتَى مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْكُفْرِ الصُّرَاحِ. قَالَ: ﴿قَالَ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَلِذَلِكَ اسْتَدَلَّ بِهَا الْإِمَامُ الْحُجَّةُ الْفَذُّ الْعَلَمُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، لَمَّا جِيءَ إِلَيْهِ بِعُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، وَكَانَ مِنَ الزُّهَّادِ الْوَرِعِينَ، وَكَانَ مَعَهُ مَنْ مَعَهُ، وَقَالُوا: نَخْرُجُ عَلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ الْحَجَّاجِ.

قَالَ: أَرَى إِنَّ الْحَجَّاجَ عُقُوبَةٌ، وَعُقُوبَةُ اللهِ لَا تُرْفَعُ بِالسَّيْفِ، وَإِنَّمَا تُرْفَعُ بِالتَّوْبَةِ.

يَعْنِي: تُوبُوا إِلَى اللهِ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا ...﴾ تَظَاهَرُوا؟ وَخَرَجُوا؟ وَفَعَلُوا؟ لَا ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾.

يُقَالُ لَكَ: إِلَى مَتَى الصَّبْرُ؟!

قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وَلَكِنِ انْتَبِهْ: قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا عَلَى حَوْضِي إِذْ أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَ أَقْوَامًا إِذِ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَقُلْتُ: أُمَّتِي أُمَّتِي. قَالُوا: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. قَالَ: سُحْقًا».

مَنِ الَّذِي يَقُولُ: سُحْقًا؟!

الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، أَرْحَمُ الْبَشَرِ يَقُولُ: سُحْقًا لِمَنْ أَحْدَثَ بَعْدِي.

هَذَا فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّءُوسِ قِيدَ مِيلٍ، وَعَطَشٌ اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَأَمَامَكَ الْحَوْضُ؛ شَهْرٌ فِي شَهْرٍ طُولُهُ وَعَرْضُهُ، كِيزَانُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَاؤُهُ أَشْهَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَصْفَى مِنَ اللَّبَنِ، يَعْنِي: انْظُرْ مَعَ هَذَا الْعَنَاءِ الشَّدِيدِ وَهَذَا النَّعِيمِ الْعَظِيمِ، وَتُحْرَمُ مِنْهُ! نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

إِذَنْ؛ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، إِلَى مَتَى نَصْبِرُ؟

قَالَ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

فَالشَّاهِدُ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ: «بِمَا صَبَرُوا»، فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْعِلَاجِ وَإِلَى الدَّوَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ».

«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ» وَ(عَلَى) مِنْ صِيَغِ الْوُجُوبِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ﴾ طَاعَةً مُطْلَقَةً، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طَاعَةً مُطْلَقَةً، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ طَاعَةً مُقَيَّدَةً فِي الْمَعْرُوفِ، «فَإِنْ أُمِرَ الْمَرْءُ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

يَقُولُ لَكَ: إِنَّ النَّبِيَّ يَقُولُ: «فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ».

فَقُلْ لَهُ: نَعَمْ، وَلَكِنْ أَكْمِلِ الْحَدِيثَ «وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، يَعْنِي: لَا تَخْرُجْ لَا بِالْكَلِمَةِ وَلَا بِاللِّسَانِ وَلَا بِالسِّلَاحِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ؛ لَا بِاللِّسَانِ وَلَا بِالسِّنَانِ.

فَقَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِيمَا أَحَبَّ وَفِيمَا كَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ» قَالَ: «فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ».

لَكِنْ، لَا تَنْزِعْ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ.

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ أَيْضًا حَدِيثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ: «بَايَعَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ».

إِذَا رَأَيْتُمْ كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ، وَعِنْدَكُمُ الْقُدْرَةُ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ مَنَاطُهُ الْقُدْرَةُ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ لَكُمْ ذَلِكَ.

وَسَيَأْتِي فِي الشُّبُهَاتِ مَسْأَلَةُ الْحَاكِمِيَّةِ.

وَآخِرُ حَدِيثٍ -الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ- حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ: «سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ» يَعْنِي: أُمَرَاءُ حُكَّامٌ «يَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، وَيَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

يَقُولُ لَكَ: إِنَّ الْحَاكِمَ الْمَنْهِيَّ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ هُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ.

وَلِمَ يَخْرُجُونَ عَلَى الْحَاكِمِ الْعَادِلِ أَصْلًا، سَيَجْعَلُونَهُ عَادِلًا أَكْثَرَ ؟!!

طَيِّب، النُّصُوصُ الْمَاضِيَةُ «وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» فِي الْعَادِلِ؟!

لَيْسَتْ فِي الْعَادِلِ.

قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَتُنْكِرُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

قَالَ: «يَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، وَيَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا.

قَالَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ».

يَقُولُونَ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.

لِمَ؟

يَقُولُونَ: هُوَ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ.

تَقُولُ: وَلَكِنَّهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

يَقُولُونَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ مُرْسَلٌ.

مَنِ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ مُرْسَلٌ؟

يَقُولُ: قَالَ النَّوَوِيُّ: «وَهَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ ...» ثُمَّ يَقْطَعُ الْكَلَامَ، انْتَهَى كَلَامُ النَّوَوِيُّ.

فَلْتُكْمِلْ كَلَامَ النَّوَوِيِّ إِذَنْ!

يَقُولُ: «هَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ، وَلَكِنَّهُ مُتَّصِلٌ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، فَصَارَ عِنْدَنَا حَدِيثَانِ مُتَّصِلَانِ، وَعَلَى كُلٍّ فَالْمَتْنُ صَحِيحٌ»، فَلِمَاذَا تَقْطَعُ هَذَا الْكَلَامَ؟!

دَعْكَ مِنْ هَذَا، الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي الْبَابِ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْهَا؟!

دَعْكَ مِنْ هَذَا، قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : يَا سُوَيْدُ بْنَ غَفَلَةَ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ أَمِيرٌ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ،

فَاصْبِرْ، فَمَنَعَكَ، فَاصْبِرْ، فَحَرَقَكَ، فَاصْبِرْ، فَإِنْ أَرَادَ دِينَكَ، فَقُلْ: دَمِي دُونَ دِينِي.

بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَهَذَا مَا قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ –رَحِمَهُ اللهُ– ، فَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآثَارِ، وَقَالَ: قَالَ: وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ... فَيُصَحِّحُ الْحَدِيثَ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ فِي الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عِنْدَمَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي الْخُرُوجِ عَلَى الْمَأْمُونِ. وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

ثَالِثًا مِمَّا مَعَنَا: صُوَرٌ مِنْ تَطْبِيقِ ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ الْعَظِيمِ عَبْرَ التَّارِيخِ.

أَمَّا الصَّحَابَةُ، فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ، لَاسِيَّمَا أَنَسٌ وَابْنُ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– وَقَدْ طَالَتْ بِهِمُ الْحَيَاةُ حَتَّى أَدْرَكُوا عَهْدَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَدْرَكُوا عَهْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَبَايَعُوهُ، رَغْمَ أَنَّهُ أَخَذَ الْمُلْكَ بِالْغَلَبَةِ بِالْقُوَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوِلَايَةَ تَكُونُ: بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَبِالْقَهْرِ.

كَمَا قَالَ السَّفَّارِينِيُّ فِي مَنْظُومَتِهِ:

وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ... وَقَهْرِهِ فَحُلْ عَنِ الْخِدَاعِ

«وَنَصْبُهُ» يَعْنِي: وَنَصْبُ الْإِمَامِ. يَكُونُ «بِالنَّصِّ» كَأَبِي بَكْرٍ، عِنْدَ طَائِفَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَصَّ عَلَيْهِ، وَأَظْهَرُ مِنْهُ كَعُمَرَ، نَصَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– ، وَالْإِجْمَاعُ كَعُثْمَانَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– .

«وَقَهْرِهِ» أَيْ: وَقَهْرِ هَذَا الْحَاكِمِ؛ كَعَبْدِ الْمَلِكِ، أَخَذَهَا قَهْرًا، وَبَايَعَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ– .

«فَحُلْ عَنِ الْخِدَاعِ» لَا تُخَادِعْ وَلَا تُرَاوِغْ كَأَهْلِ الْبِدَعِ.

هَذَا أَوَّلًا: الصَّحَابَةُ.

ثَانِيًا: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– ، وَهُوَ آيَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَالْآثَارُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ رَغْمَ ظُلْمِ وَجَوْرِ الْحَاكِمِ حِينَئِذٍ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ الْحَجَّاجُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُمُ: اصْبِرُوا. وَيَقُولُ لَهُمْ: هَذِهِ عُقُوبَةٌ تُرْفَعُ بِالتَّوْبَةِ وَلَا تُرْفَعُ بِالسَّيْفِ. وَيَقُولُ لَهُمْ: اتَّقُوا الْفِتَنَ. وَيَقُولُ: أَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ عَنْهُ.

ثَالِثًا: الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللهُ– ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ، وَقَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى مَا يَصْنَعُ؟ يَعْنِي: الْمَأْمُونُ. يَفْرِضُ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ الْكُفْرِيَّ عَلَى الْأُمَّةِ.

وَلِذَلِكَ نَقُولُ لِلتَّكْفِيرِيِّينَ: هَذَا الْمَأْمُونُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاثِقُ، كَانَ يَفْرِضُ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ الْكُفْرَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَهُوَ دِينُ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ كُفَّارٌ، وَالتَّجَهُّمُ كُفْرٌ، لَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ، طَيِّب: كَفَّرَهُ أَحْمَدُ، أَوْ إِسْحَاقُ، أَوْ غَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟!

قَالُوا: الْمَأْمُونُ كَافِرٌ أَوِ الْمُعْتَصِمُ أَوِ الْوَاثِقُ؟!

لَا.

يَقُولُ لَكَ: وَلَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ يَا شَيْخُ بَيْنَ الْحُدُودِ الَّتِي تُمْنَعُ، وَهَذِهِ الْقَوَانِينِ الَّتِي تُسَنُّ.

وَهَذَا حَدَثَ مَعِي.

قُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي اتَّقِ اللهَ، أُكَلِّمُكَ فِي عَقِيدَةٍ، فِي أَصْلِ الدِّينِ، صُلْبِ الدِّينِ، وَأَنْتَ تَقُولُ لِي: الْحُدُودُ؟!

هَذَا يُغَيِّرُ صُلْبَ الدِّينِ أَصْلَ الدِّينِ، يَقُولُ: إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَإِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى... إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْتَ تَقُولُ لِي: الْحُدُودُ؟!

مَا هَذَا الْفَهْمُ؟!

وَمَعَ ذَلِكَ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ- مَاذَا صَنَعَ؟!

قَالُوا لَهُ: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَ؟!

قَالَ: اصْبِرُوا اصْبِرُوا.

قَالُوا: أَلَا تَرَى الْفِتَنَ؟!

قَالَ: الْفِتْنَةُ الْعَامَّةُ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَتُنْتَهَكُ الْأَعْرَاضُ وَتُقْطَعُ السُّبُلُ، فَلَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى ... يَقُولُ لَهُمْ: اصْبِرُوا اصْبِرُوا. قَالَ: وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ.

هَذَا أَمْرُ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَأَيُّ الطَّرِيقَيْنِ أَهْدَى؟!

مَنِ الَّذِي يُذْكَرُ الْآنَ وَيُتَرَضَّى عَلَيْهِ وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ؛ أَحْمَدُ أَمْ مَنْ جَاءَ؟!

نَحْنُ نَقُولُ: فُقَهَاءُ بَغْدَادَ أَتَوْا ... مَنْ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ؟! لَا نَدْرِي مَنْ هُمْ.

رَابِعًا: إِمَامُ الْأَئِمَّةِ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ: ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- ، عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَعَاقِبَةٍ وُلَاةٌ مُتَعَاقِبُونَ فِي بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي مِصْرَ وَفِي الشَّامِ، يُؤْذَى فِي اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، وَمِنْ سِجْنٍ إِلَى سِجْنٍ، وَمِنْ مُعْتَقَلٍ إِلَى مُعْتَقَلٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ كُتُبِهِ يَأْمُرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا. هَلْ هَذَا عَمِيلٌ لِأَمْنِ الدَّوْلَةِ فِي عَهْدِهِ؟!

طَيِّب: الْمَمَالِيكُ كَانُوا يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟!

مَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَكَانَ فِي عَهْدِهِمْ سُنَّتِ الْقَوَانِينُ، وَهَذَا لَيْسَ مَعْنَاهُ تَهْوِينًا مِنْ مَسْأَلَةِ الْقَوَانِينِ، وَهِيَ جَرِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، وَذَنْبٌ عَظِيمٌ وَكَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ وَمُوبِقَةٌ، لَكِنْ لَيْسَ بِكُفْرٍ.

لِأَنَّنَا لَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَى شَيْءٍ بِكُفْرٍ أَوْ غَيْرِ كُفْرٍ إِلَّا بِدِينِ اللهِ، وَإِلَّا افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُلْنَا عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الشِّرْكِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَلَا نَقُولُ عَلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِلَا عِلْمٍ.

وَلِذَلِكَ هُنَاكَ رِسَالَةٌ طَيِّبَةٌ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، فِي الْمُجَلَّدِ (٣٥)، أَوَّلُ رِسَالَةٍ فِي هَذَا الْمُجَلَّدِ، وَحَقَّقَهَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ -حَفِظَهُ اللهُ- عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْبَدْر، وَلَهَا مُقَدِّمَةٌ مِنْهُ مُقَدِّمَةٌ طَيِّبَةٌ، بَيَّنَ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مَا يَجِبُ فِي هَذَا الْبَابِ.

خَامِسًا: ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ -رَحِمَهُ اللهُ- ، وَانْظُرْ إِلَيْهِ فِي كُتُبِهِ، وَهَذَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الشُّبُهَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: خَرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَمَا خَرَجَ، وَكَذَبُوا عَلَيْهِ.

انْظُرْ فِي الْأُصُولِ السِّتَّةِ، فَجَعَلَ بَعْدَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، الِاجْتِمَاعَ، قَالَ: وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. يَعْنِي: لِوُلَاةِ الْأَمْرِ. قَالَ: وَصَارَ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْعِلْمِ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

هَذَا فِي زَمَانِهِ، فَكَيْفَ فِي زَمَانِنَا؟!

وَآخِرُ ذَلِكَ مِنْ هَذَا التَّطْبِيقِ: مَا كَانَ فِي عَهْدِ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ.

الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ تَنَقَّلَ بَيْنَ سِتِّ دُوَلٍ، يُطْرَدُ مِنْ هَذِهِ، وَيَخْرُجُ إِلَى تِلْكَ، وَيَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْمُرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَعْرُوفِ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا.

وَأَقُولُ: الْأَلْبَانِيُّ. لِأَنَّنَا لَوْ قُلْنَا: ابْنُ بَازٍ وَالْعُثَيْمِين. يَقُولُونَ: لِأَنَّ الدَّوْلَةَ .... وَحَاشَاهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمُ اللهُ-، وَلِذَلِكَ نَضْرِبُ الْمِثَالَ بِالْأَلْبَانِيِّ، مَا كَانَ لَهُ مَنْصِبٌ فِي دَوْلَةٍ، بَلْ أُوذِيَ فِي اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فِي سُورِيَّا، وَفِي الْأُرْدُنِّ، وَفِي الْإِمَارَاتِ، حَتَّى فِي السُّعُودِيَّةِ أُخْرِجَ مِنْهَا -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-.

وَمَعَ ذَلِكَ مَاذَا قَالَ؟!

وَارْجِعْ إِلَى رِسَالَةِ «فِتْنَةِ التَّكْفِيرِ»، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَتَبَ، وَمِمَّا قَالَ مِمَّا هُوَ مُسَجَّلٌ -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-.

وَآخَرُ مَعَنَا: شُبُهَاتٌ وَرَدُّهَا فِي عُجَالَةٍ لَا نُطِيلُ عَلَيْكُمْ.

الْأَوَّلُ: يَقُولُونَ: خَرَجَ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ.

وَمَا خَرَجَ الْحُسَيْنُ، وَمَا خَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذَا بَيَّنَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ»، أَنَّ الْحُسَيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- لَمَّا أَتَتْهُ الْمُبَايَعَاتُ مِنَ الْعِرَاقِ، ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا عَلِمَ بِالْأَمْرِ وَبِالْمَكِيدَةِ، قَالَ: أَذْهَبُ إِلَى يَزِيدَ فَأُبَايِعُهُ، أَوْ إِلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ فَأُجَاهِدُ فِيهِ، أَوْ أَعُودُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ. فَقَاتَلَهُ شِرْذِمَةٌ مِنْ شُذَّاذِ الْآفَاقِ -قَبَّحَهُمُ اللهُ- فَقَاتَلَ دُونَ نَفْسِهِ فَقُتِلَ -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-، فَلَمْ يَخْرُجِ الْحُسَيْنُ.

ثُمَّ يُقَالُ: إِنَّ الْحُجَّةَ فِي قَوْلِ جَدِّ الْحُسَيْنِ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِ الْحُسَيْنِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أَخِيهِ وَعَنْ أُمِّهِ-.

وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَمَا خَرَجَ؛ لِأَنَّ بَعْدَ مُعَاوِيَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- (مُعَاوِيَةُ مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ هِجْرِيَّةً)، وَلِيَ بَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ (وَمَاتَ يَزِيدُ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ هِجْرِيَّةً) وَكَانَ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ الزَّاهِدُ (مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، كَانَ يُلَقَّبُ بِالزَّاهِدِ)، تَأَمَّرَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ تَرَكَ الْحُكْمَ، وَقَالَ: لَا أَرَبَ لِي فِي ذَلِكَ. فَتَرَكَ الْحُكْمَ، فَخَلَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ خَلِيفَةٍ، فَحِينَئِذٍ بَايَعَ أَهْلُ الْحِجَازِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمِصْرُ، حَتَّى الشَّامُ، وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا دِمَشْقُ.

فَاجْتَمَعَ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى مَرْوَانَ، وَكَانَ قَدْ رَكِبَ لِيَسِيرَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ لِيُبَايِعَهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: نُبَايِعُكَ، وَأَكْرَهُوهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَايَعُوهُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَدَثَ الْقِتَالُ بَيْنَ جُيُوشِ مَرْوَانَ، وَمَاتَ مَرْوَانُ، فَجَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَادَ جُيُوشَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَحَدَثَ مَا حَدَثَ، حَتَّى قُتِلَ الْمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَخُو عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ قَائِدَ الْجُيُوشِ، حَتَّى وَصَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى مَكَّةَ، وَقُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَلِذَلِكَ بَيَّنَ هَذَا الْأَمْرَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ، وَأَبَانَ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ خُرِجَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْرُجْ هُوَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ-.

الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ: يَقُولُونَ: «وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ»، فَيَقُولُونَ: «بِكِتَابِ اللهِ».

وَأَنْتَ عِنْدَمَا تَرْجِعُ إِلَى كِتَابِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابِ الْإِمَارَةِ، وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ يَجْمَعُ الْأَحَادِيثَ فِي الْبَابِ الْوَاحِدِ، يَتْرُكُونَ أَحَادِيثَ الْبَابِ كُلَّهَا، وَيَأْخُذُونَ هَذَا الْحَدِيثَ، كَمَا وَصَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ فَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ.

يَقُولُونَ: يَقُولُ: «يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ».

طَيِّب، وَأَحَادِيثُ الْبَابِ؟! نَحْنُ لَا نَضْرِبُ الْأَحَادِيثَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَلَكِنْ نَجْمَعُ بَيْنَهَا.

يَقُولُ: لَا، نَحْنُ نَتَمَسَّكُ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

نَقُولُ: أَصَابَكُمْ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «أُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

وَمَعَ ذَلِكَ نَقُولُ: «يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ»، قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا»، فَالْحَدِيثُ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ قَادَنَا بِكِتَابِ اللهِ، وَلَيْسَ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ.

يَقُولُونَ: نَعَمْ وَلَكِنَّ مَفْهُومَ الْمُخَالَفَةَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقُدْنَا بِكِتَابِ اللهِ خُرِجَ عَلَيْهِ.

نَقُولُ: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، عِنْدَنَا مَفْهُومٌ وَعِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ مَنْطُوقٍ، بَلِ الْمَنْطُوقَاتُ هُنَا مُتَوَاتِرَةٌ، وَالْقَاعِدَةُ الْأُصُولِيَّةُ أَنَّ الْمَنْطُوقَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمَفْهُومِ.

ثُمَّ نَقُولُ: «يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ» هَاهُنَا صِفَةٌ كَاشِفَةٌ، مَا مَعْنَى (صِفَةٌ كَاشِفَةٌ)؟

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.

(الَّذِي خَلَقَكُمْ) هُنَا، هَذِهِ الصِّفَةُ: صِفَةٌ مُؤَسِّسَةٌ، أَمْ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ؟!

لَوْ قُلْتَ: مُؤَسِّسَةٌ. يَكُونُ هُنَالِكَ رَبٌّ خَالِقٌ، وَرَبٌّ غَيْرُ خَالِقٍ.

وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: صِفَةٌ كَاشِفَةٌ عَنْ حَالِ الْمَوْصُوفِ أَنَّ هَذَا الرَّبَّ الْمَعْبُودَ الْحَقَّ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَحْدَهُ فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ.

فَكَذَلِكَ هَاهُنَا: «يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ» صِفَةٌ كَاشِفَةٌ، يَعْنِي: لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ الَّذِي يَقُولُونَ بِهِ: أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقُدْ بِكِتَابِ اللهِ فَاخْرُجُوا عَلَيْهِ.

ثَالِثًا: يَقُولُ: إِنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِكُمْ هَذَا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ أَوِ الْحَاكِمُ مَعْصُومًا، وَلَا يَقُولُ بِهَذَا إِلَّا الشِّيعَةُ الرَّوَافِضُ.

لِأَنَّ «يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ» إِذَنْ؛ أَيُّ مُخَالَفَةٍ أَيُّ مَعْصِيَةٍ تَكُونُ مِنَ الْقِيَادَةِ بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ، فَيَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ.

إِذَنْ؛ تْحَتَاجُونَ إِلَى إِمَامٍ مَعْصُومٍ.

رَابِعًا: يَكْفِينَا فِي هَذَا الْبَابِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ، وَالْآثَارُ الْمُتَكَاثِرَةُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَنْ أَصْحَابِهِ، وَمِنْهَا مَا سَبَقَ.

ثَالِثًا: يَقُولُونَ: خَرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

رَدَّ عَلَى هَذَا الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ، وَقَالَ: هَذَا لَمْ يَحْدُثْ؛ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُثْمَانِيَّةَ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَايَةٌ عَلَى الْحِجَازِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قَبَائِلَ مُتَنَاحِرَةً فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَجَمَعَهُمُ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، وَكَانَ مِنْ عَقِيدَتِهِ -رَحِمَهُ اللهُ- كَمَا مَضَى السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا.

رَابِعًا: يَقُولُونَ: الْحَاكِمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

نَقُولُ: حَسَنٌ، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فَلَوْ قُلْتَ: أَنَّ الْكُفْرَ فِي الْأُولَى أَكْبَرُ، فَقُلْ: إِنَّ الْفِسْقَ وَإِنَّ الظُّلْمَ أَكْبَرُ أَيْضًا.

فَيَكُونُ قَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، يَكُونُ قَتْلُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كُفْرًا مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ، وَسِبَابُهُمْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِسْقًا مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ.

وَقَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

وَقَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «ثِنْتَانِ فِي أُمَّتِي هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: النِّيَاحَةُ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الْكَثِيرَةِ، فَمَا الْحَلُّ إِذَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ؟!

فَهْمُ السَّلَفِ. ارْجِعُوا إِلَى أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، لَيْسَ كُفْرًا بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ»، وَقَالَ: كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَقَالَ أَحْمَدُ، وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ، وَابْنُ بَازٍ، وَالْعُثَيْمِينُ، وَغَيْرُهُمْ.

فَعلينا أن نَعُودَ إِلَى فَهْمِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ، وَعُلَمَائِنَا الرَّبَّانِيِّينَ.

آخِرُ شَيْءٍ: فَمَا الْحَلُّ إِذَنْ؟!

نَقُولُ: قَالَ تَعَالَى :﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وَكَمَا فِي الْأَثَرِ: كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ.

وَكَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: عُمَّالُكُمْ أَعْمَالُكُمْ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُغَيِّرَ فَلْيَتَغَيَّرْ.

وَتُعْجِبُنِي كَلِمَةُ شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَادِلِ السَّيِّد -حفظهُ اللهُ- ، يَقُولُ: الْحَاكِمُ مِرْآةُ شَعْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ الشَّعْبُ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِهِ وَيَنْظُرَ إِلَى نَفْسِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحَاكِمِ. فَإِنْ وَجَدَ ظَالِمًا فَهُوَ ظَالِمٌ، وَإِنْ وَجَدَ عَادِلًا فَهُوَ عَادِلٌ.

وَلِذَلِكَ إِنْ مَنَعَ النَّاسُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُكُوسُ وَالضَّرَائِبُ، وَإِنْ آذَوُا النَّاسَ أُوذُوا، وَلِذَلِكَ تَجِدُ النَّاسَ يُسَلِّطُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يَعْنِي: السَّائِقُ فِي الْمَيكْرُوبَاص يَظْلِمُ الرَّاكِبِينَ، فَيَرْزُقُهُ اللهُ بِأَمِينِ شُرْطَةٍ يَظْلِمُهُ، ... وَهَكَذَا تدورُ الدَائِرَةُ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ وَأَنْ نَرْجِعَ وَأَنْ نَسْتَغْفِرَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

إِذَنْ؛ الْعُقُوبَةُ تُرْفَعُ بِالتَّوْبَةِ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ -رَحِمَهُ اللهُ- .

وَقَالَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ».

نَحْنُ نَحْتَاجُ أَنْ نَثُورَ عَلَى الثَّوْرَاتِ؛ فَنَجْتَنِبَهَا، وَأَنْ نَتَظَاهَرَ عَلَى الْمُظَاهَرَاتِ، فَنَعْتَزِلَهَا، وَنَعْتَصِمَ بِمِنْهَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

يَثُورُ عَلَى النُّفُوسِ ذَوُو النُّفُوسِ ... فَتَرْبُو ذِي الْحَيَاةُ عَلَى النَّفِيسِ!

وَيَحْطِمُ ذُو الدَّنَاءِ عَلَى حُطَامٍ ... فَتُمْسِي ثَوْرَةٌ بَيْنَ التُّيُــوسِ!

فَذُو عَقْلٍ يُحَاوِلُهَا صَلَاحًــــا ... وَذُو جَهْلٍ إِلَى بَأْسٍ بَـئِيـسِ!

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

❋❋❋❋❋

❋❋❋

❋